

التقوى الظاهرية

" لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها " (2 يمتو 3: 5) .
" لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ، ولا الختان الذي في
الظاهر في اللحم ختاناً ، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان
القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان ، الذي مدحه ليس من الناس بل
من الله " (رو 2: 28 ، 29) .

هذه الآيات تعلمنا ثلاث حقائق هامة على الأقل .
أولاً - أن المسيحية الظاهرية ليست هي المسيحية الحقيقية .
ثانياً - أن المسيحية الحقيقية يجب أن تكون في القلب .
ثالثاً - أن المسيحية الحقيقية ليست أمراً شائعاً على الإطلاق .

والآن دعونا نتأمل في هذه الحقائق الثلاث .
أولاً - **المسيحية الظاهرية ليست هي المسيحية الحقيقية** :
الشيء الأول الذي يجب أن نتعلمه ، هو أن المسيحية الظاهرية ليست هي المسيحية
الحقيقية ، وأن المسيحي بحسب الظاهر ليس هو المسيحي الحقيقي . وأنا أقصد بالمسيحي
حسب الظاهر ، ذلك الشخص الذي هو مسيحي بالاسم فقط وليس في الواقع . في ممارساته
الظاهرية ، وليس في قلبه . يوجد الكثيرون من المسيحيين الذين لا تتعدى مسيحيتهم شيئاً
أكثر من حضور الكنيسة . إنهم يمارسون ذلك بانتظام ، لكنهم لا يألون النصوص الكتابية
ولا يثقلون بقرائنها . إن حياتهم ليست منعزلة عن العالم . إنهم لا يُبدون أي اهتمام
بالتعاليم المسيحية ، ولا يُظهرون أي اهتمام بنوع التعليم الذي يستمعون إليه هؤلاء الناس
هم " مسيحيون ظاهريون " فقط .

هناك آخرون تتألف مسيحيتهم من مجرد كلمات . إنهم يعرفون الإنجيل نظرياً،
ويتمسكون بقوة بالعقيدة السليمة ، لكنهم لا يعرفون شيئاً عن التقوى العملية . إنهم غير

صادقين ، غير مُحَبِّين ، غير متضعين ، غير أمناء ، غير عطوفين ، غير مهذبين ، أنانيون . إنهم مسيحيون بالاسم ، إنهم فقط " مسيحيون ظاهريون " . والكتاب المقدس يتحدث بصراحة عن المسيحية الظاهرية . استمع إلى كلمات بولس الرسول : " لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ، ولا الختان الذي في الظاهر ، في اللحم ختانياً " . يالها من كلمات قويّة . إن إنساناً ينحدر نسبه الطبيعي من إبراهيم ، ومختون ويحفظ كل الأعياد الدينية ، ويتعبّد بانتظام في الهيكل ، ومع ذلك فهو في نظر الله ليس يهودياً حقيقياً على الإطلاق .

وبنفس الطريقة ، يمكن لإنسان أن يكون مسيحياً عن طريق الإعلان الظاهري، وأن يكون بالفعل قد تعمّد بالماء ، وأن يكون مواظباً على حضور الكنيسة ، لكنه في نظر الله ليس مسيحياً على الإطلاق .

اقرأ (اش 1 : 10 - 15) ، حيث يُعلن الله أن ذبائح الناس كانت بلا فائدة ، وأنه كره أعيادهم ، بالرغم من أن هذه الذبائح والأعياد قد عبّتها الله بنفسه . فإله يُعلن أنه حتى الطقوس الخاصة بالعبادة ، التي حددها هو ، هي عديمة الفائدة عندما لا تكون من القلب . وفي الحقيقة تعتبر هذه الممارسات أسوأ من كونها عديمة الفائدة فقط ، بل هي إساءة إلى الله ، وهو يكرهها .

استمع إلى الرب يسوع المسيح نفسه ، حين قال لليهود الذين كانوا يعيشون في عصره : " يقترب إليّ هذا الشعب بغمه ، ويكرمني بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعدٌ عني بعيداً ، وباطلاً يعبدونني " (مت 15 : 8 ، 9) . لقد شجب الرب يسوع التدين الظاهري في الكتابة والفريسيين ، مُحذراً تلاميذه منه . لقد كان يسوع يتحدث بكل رقة مع أشرّ الخطة ، ويترك الباب مفتوحاً أمامهم ، لكنه كشف أولئك الذين كان تدينهم ظاهرياً ، بأصعب الكلمات .

ويمكننا أن نشير بسهولة إلى أماكن أخرى في الكتاب المقدس، نتحدث عن هذا الموضوع . فالكتاب المقدس يعلمنا بوضوح شديد . أنه يجب علينا ليس أن نتجنب الخطية فقط ، ولكن أن نتجنّب خطورة أن يكون لنا مجرد الغلاف الخارجي من المسيحية .

هذا النوع من المسيحية شائع جداً ، إنه يغزو كل طائفة وفي كل كنيسة . وهو في منتهى الخطورة . إن الممارسات المسيحية الظاهرية ، التي لا تكون نابعة من القلب ، تعمل على تقسّي القلب والضمير . يالها من حماقة أن يفترض الإنسان إن المظهر الخارجي للمسيحية يمكن أن يريحه في وقت المرض ، أو في ساعة الاحتضار . إن صورة النار لا يمكن أن تبعث الدفء في إنسان لأنها ليست شيئاً حقيقياً . كذلك المسيحية الظاهرية ، لا تستطيع أن تقدّم السلام للنفس . فإله يرى زيفها بسهولة ، حتى إذا استطعنا أن نخدع بها أصدقاءنا أو أعضاء الكنيسة أو الرعاة . إن الله سوف " يدين سرائر الناس " في اليوم الأخير .

2 - المسيحية الحقيقية يجب أن تحيا في القلب :

إن القلب هو الاختبار الحقيقي لكل من شخصية الإنسان وديانته . الإيمان الحقيقي يجب أن يحيا في القلب ، فالناس عادة ما ينظرون إلى ما يقوله الشخص ويعمله ، ولكن الإنسان يمكن أن يقول ويعمل أشياء صحيحة بدوافع خاطئة . لذلك يمتحن الله القلب ، فمن القلب تبدأ المسيحية الحقيقية المُخلصة . يقول الله : " وأعطيك قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديداً في داخلكم " (حز 36 : 26) . الإيمان الذي يخلص هو الذي في داخل القلب " فبالقلب يؤمن الإنسان " (رو 10 : 10) والقداسة تصدر من قلب مجدّد . والمؤمنون يعملون مشيئة الله من القلب .

ربما يفكر أحد القراء ، أن الديانة الصحيحة الخارجية كافية . إذا كان الأمر كذلك ، فأنت مخطئ تماماً . يقول بولس الرسول : " لأنه في المسيح ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة " (غل 6 : 15) . والرسول هنا يتحدث عما هو أهم بكثير من عدم ضرورة الختان ، في ظل العهد الجديد . إنه يقصد أن المسيحية الحقيقية ليست شيئاً ظاهرياً ، ولكنها شيء داخلي . إنها ليست طقوساً خارجية من أي نوع ، ولكنها عمل نعمة الله في قلب الإنسان . عندما تكون قلوبنا غير مستقيمة ، يكون كل ما فينا غير مستقيم في نظر الله . إن الطقوس الخارجية عديمة الفائدة ، إذا كانت قلوبنا غير مستقيمة . في العهد القديم كان التابوت هو أقدس ما في خيمة الاجتماع . لكن عندما وضع الإسرائيليون ثققتهم فيه أكثر من الله ، انهزموا من أعدائهم . إنهم وضعوا ثققتهم في شيء ظاهري ، بدلاً من الله

نفسه فكانت قلوبهم غير مستقيمة . إن عبادتنا يمكن أن تكون صحيحة ظاهرياً ، لكنها ستكون مرفوضة من الله ، إن كانت قلوبنا خاطئة .

عندما تكون قلوبنا مستقيمة ، فإن الله يتغاضى عن الكثير من النقص فينا . لقد كان يهوشافاط وآسا من ملوك يهوذا ، وكانا بعيدين عن الكمال ، وظهر ضعفهما في أمور كثيرة . لكن مع كل ما فيهما من نقص ، كان قلباهما مستقيمين . والفصح الذي عمله حزقيّا كان فيه الكثير من المخالفات ، لكننا نقرأ أن حزقيّا صلى : هكذا " الرب صالح يكفر عن كل من هياً قلبه لطلب الله " (2أخ 30 : 18 ، 19) . لقد استجاب الله لصلاته ، لأن الله يهتم بحالة قلوبنا أكثر من اهتمامه بممارستنا الخارجية .

إنني أنصحك بأن تعزم أن تكون مسيحياً في القلب ، يجب أن لا تهمل المظاهر الخارجية للعبادة ، لكن تأكد قبل كل شيء من حالة قلبك .

3 - المسيحية الحقيقية غير منتشرة :

أريدك أن تكون مؤمناً في قلبك . لكن أريدك أن تدرك إن هذا النوع من المسيحية ، ليس شائعاً على الإطلاق . إنه لم يكن شائعاً أبداً ، ولن يكون ، وهذا ما أخبرنا عنه الكتاب المقدس أن معظم الناس سيكتفون بالتدين الخارجي الذي يُشبع ضمير الإنسان (الذي لم يدرك بعد احتياجه للمسيح) . إنه يُرضي برّنا الذاتي كما أنه يُرضي تكاسلنا الطبيعي ، لأن مسيحية القلب ليست سهلة ، لكن متطلبات المسيحية الظاهرية ، لا تسبب لنا متاعب كثيرة . وتاريخ الدين يثبت صحة ما أقول . ففي تاريخ إسرائيل من بداية الخروج إلى نهاية أعمال الرسل ، سوف تجد نفس الشيء . أنبياء العهد القديم شجبوا الناس الذين مارسوا التدين الظاهري دون القلبي . والرب يسوع نفسه شجب الكتبة والفريسيين على ذلك . وبعد عصر الرسل سرعان ما حلت الممارسات الظاهرية محل المسيحية القلبية . وأصبحت هذه الممارسات هي الشكل الشائع للمسيحية ، أما المسيحية الحقيقية القلبية ، فقد أصبحت شيئاً نادراً .

المسيحية القلبية هي الاتضاع للدرجة التي تجعلها غير مرغوبة، إنها لا تترك للإنسان مجالاً للتفاخر . إنها تعرّفه أنه ميت في الخطية، ويجب أن يُولد من الروح القدس .

وهي تعرّفه أنه مذنب ومستحقّ الجحيم ، ويجب أن يسرع إلى المسيح ليخلص، لكن الكبرياء البشرية تتمرد على معرفة هذه الأمور .
المسيحية القلبية هي القداسة للدرجة التي تجعلها غير رائجة . إنها تتطلب أن يُغيّر الإنسان طرقه ، وأن يتخلّى عن العالم وعن خطاياها ، وأن يكون ذهنه روحياً ، محباً لكلمة الله والصلاة . كيف يمكن أن تكون هذه الأمور مرغوبة ؟ إنها لم تكن كذلك أبداً ، لا في الماضي ولا في الحاضر .

لكن ما أهمية الشعبية والانتشار للإنسان . إننا في الدينونة لن نقف أمام الناس، بل أمام الله . المسيحية القلبية هي التي لها " المدح من الله " . إن الله يُسرّ عندما يرى المسيحية القلبية في الحياة الحاضرة . حيثما توجد التوبة والإيمان والقداسة ومحبة الله في القلب، يكون الله مسروراً جداً . أليس هذا الأمر أهمّ كثيراً من مديح الناس ؟

في يوم الدينونة ، سوف يعلن الله عن مسرته بالمسيحية القلبية أمام كل العالم . وسيجمع قديسيه من كل مكان في العالم ، في شركة واحدة مجيدة . وسيجلسهم عن يمين عرش المسيح المجيد . فكل الذين أحبوا المسيح وخدموه من قلوبهم ، سوف يسمعونه يقول : " تعالوا يا مباركي أبي ، رثوا الملكوت المُعد لكم منذ تأسيس العالم " (مت 25 : 34) .
أما المسيحيون الظاهريون ، فسوف يراقبون كل هذا بحسد، ولن تُوجّه لهم تلك الكلمات التي وُجّهت للمسيحيين الحقيقيين . في ذلك اليوم سوف ندرك تماماً قيمة المسيحية القلبية . إنك في هذه الحياة معرّض للهزء والقسوة والمقاومة والاضطهاد . " أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله " (أع 14 : 22) . لكن مهما كان ما يمكن أن تخسره في هذا العالم ، فإن مدح الله لك - في ذلك اليوم - سوف يعوّضك عن كل هذا .

الخلاصة

دعني أختتم بثلاث كلمات واضحة للتطبيق :

1 - هل مسيحيّتك عبارة عن ممارسات خارجية ، أكثر من كونها قلبية . إذا كان الأمر كذلك فعلياً أن أحذرك في المحبة، أنت مُعرّض لخطر جسيم . أنت لم تحصل على ما يقدم لك الراحة في وقت التجربة . ولم تحصل على ما يعطيك رجاء وقت الاحتضار، ولا ما يخلصك في اليوم الأخير . أرجو أن يجعل الله هذا التحذير موجّهاً إلى نفسك أنت شخصياً .

2 - إذا كان قلبك يدينك فيوجد طريق واحد فقط عليك أن تسلكه . عليك أن تتوجه إلى المسيح دون تأخير ، وتخبره بحالتك . اعترف له بعدم قيمة مسيحيّتك الشكلية ، واطلب منه أن يمنحك قلباً جديداً . إنه قادرٌ أن يخلص . لا توجد حالة ما يمكن أن تستعصي عليه .
"اسألوا تُعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يُفّتح لكم" (لو 11 : 9).

3 - إذا كانت لك حقاً المسيحية القلبية ، وكان لك ثقة راسخة بالله ، عليك أن تأخذ مسؤوليات موقفك بكل جدية . قدّم لله الشكر والتسبيح كل يوم ، لأنه قد أعطاك قلباً جديداً . لكن انتبه وتحذر لئلا تسقط في الشكلية . لاحظ قراءتك للكتاب المقدس ، وصلاتك ، وسلوكك في الحياة اليومية . لا يوجد إنسان روعي بالدرجة التي تجنّبه الوقوع في سقطة مُحزنة . لذلك انتبه وكن حذراً وأنت تتطلع إلى مجيء الرب . إنه سيأتي سريعاً .

وقت التجربة قارب على الانتهاء ، وفي ذلك اليوم ، لا يمكن لأحد أن يتخيّل على الإطلاق ، أنه قد أعطى قلبه بالكامل للمسيح في حياته الأرضية .